الإمام الحسن

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
« أما الحسن فإن له هيبتي وسؤددي،
أما الحسين فإن له جرأتي وجودي »
(حديث شريف)

من بيت أذن الله أن يرفع ويذكر فيه اسمه ، استقبل الرسول صلى الله عليه وسلم حفيده وسبطه[1] الأكبر سيد شباب أهل الجنة فى ليلة النصف من شهر رمضان[2] المبارك الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، وكان ذلك فى السنة الثالثة من الهجرة . وبهذا يكون أول مولود ذكر فى أشرف بيت عربى عريق فى النسب والعزة .

ولما أذيع نبأ ولادة الصديقة بالمولود الجديد غمرت موجات من السرور والفرح قلب النبى صلى الله عليه وسلم ، فسارع إلى بيت ابنته منزل الإمام علىّ ونادى :

– يا أسماء ، هاتينى ابنى .

فأسرعت أسماء ودفعته إليه فى خرقة صفراء .

---

(١) السبط فى اللغة : ولد الولد ، والأسباط فى بنى إسرائيل تقابل القبائل عند العرب .

(٢) قال الأستاذ محمد فريد وجدى فى دائرة المعارف : إن ولادة الحسن كانت قبل الهجرة بست سنوات ، وهذا يخالف إجماع المؤرخين ، لأنه فى هذا الوقت لم يكن الإمام على متزوجاً من الزهراء .

فقال : « ألم أعهد إليكم ألا تلفوا المولود فى خرقة صفراء » .

وأذّن صلى الله عليه وسلم فى أذنه اليمنى وأقام فى اليسرى ، وكان أول صوت سمعه المولود الجديد هو صوت جده الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكانت أنشودة هذا الصوت « الله أكبر لا إله إلا الله » .

وبهذه الكلمات المنطوية على الإيمان بكل ما له من معنى يستقبل بها الرسول صلى الله عليه وسلم سبطه فيغرسها فى أعماق نفسه ويغذى بها مشاعره وعواطفه لتكون أنشودته فى بحر الحياة .

والتفت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإمام علىّ أمير المؤمنين الذى تاه فرحاً إذ صار لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذرية منه يفخر بنسبتها إليه على كافة الناس ، وقال له : « هل سميت الوليد المبارك ؟ » .

فأجابه الإمام : ما كنت لأسبقك يا رسول الله .

وما هى إلا لحظات وإذا بالوحى يناجى الرسول ويحمل له التسمية من الحق تعالى ، يقول له جبريل : « سمه حسنا » .

ولم يعرف هذا الاسم فى الجاهلية .

وجاء فى الاستيعاب : أنه لما ولد الحسن عليه السلام جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أروني ابني فما أسميتموه ؟ قالوا : حرباً ، فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو حسن ، فلما ولد الحسين قال : أروني ابني فما أسميتموه ؟ قالوا : حرباً ، فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو حسين ، فلما ولد الثالث قال : ما سميتموه ؟ قالوا : حرباً ، فقال صلى الله عليه وسلم : بل هو محسن .

ثم قال صلى الله عليه وسلم : « إنى سميتهم بأسماء ولد هارون شبر وشبير » . ولست أجزم إذا كانت هذه الرواية صحيحة ، لأن العداء بين الهاشميين وآل حرب غير خفى ، فما هو المحبذ لآل البيت بتسمية أبنائهم باسم حرب الذى ينتمى إليه الأمويون ، وثانياً أن إعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عن اسم حرب حين ولادة الحسن عليه السلام كاف فى إعراض آل البيت عن تسمية الحسين والمحسن بهذا الاسم .

وروى أحمد بن حنبل فى مسنده عن علىّ رضى الله عنه أنه قال : لما ولد لى الحسن سميته باسم عمى حمزة ، ولما ولد الحسين سميته باسم أخى جعفر ، فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله قد أمرنى أن أغير اسم هذين فسماهما حسناً وحسيناً ، وهذه الرواية قد تكون ضعيفة ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم أسمى حفيديه عقب ولادتهما .

وعن الصادق عليه السلام قال : « عق رسول الله عن الحسن بيده وقال : بسم الله عقيقة عن الحسن وقال : اللهم عظمها بعظمه ولحمها بلحمه ودمها بدمه وشعرها بشعره ، اللهم اجعلها وفاء لمحمد وآله » .

وفى رواية : عق عنه بكبشين أملحين وأعطى القابلة فخذاً ودیناراً ، وقال : يا فاطمة احلق رأسه وتصدق بزنة شعره فضة ، وأجرى صلى الله عليه وسلم الختان فى اليوم السابع من ولادته ، لأن ختان الطفل فى ذلك الوقت أطيب له وأطهر . وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « طهروا أولادكم يوم السابع ، فإنه أطيب وأطهر وأسرع لنبات اللحم ، وأن الأرض تنجس من

بول الأغلف أربعين يوماً » .

وفى أسد الغابة بسنده عن أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب ، أنها قالت : يا رسول الله ، رأيت كأن عضواً من أعضائك فى بيتى ، قال : خيراً رأيت ، تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبن قثم ، فولدت الحسن فأرضعته بلبن قثم .

ألقابه رضى الله عنه

الإمام الحسن سيد وسبط

يلقب رضى الله عنه بألقاب كثيرة ، وهى :

التقى ، والطيب ، والزكى ، والولى ، والسبط ، والسيد ، وأمير المؤمنين ، والحجة والزاهد والمجتبى ، وأشهرها السبط ، وأعلاها السيد . ومن كناه أبو محمد وأبو القاسم .

فقد روى البخارى عن أبى بكرة رضى الله عنه : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم على المنبر والحسن بن على معه ، وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة ويقول : « إن ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين » وسنعود إلى هذا الحديث الكريم بالتفصيل فيما بعد ، وكذلك السبط .

ويكنى رضى الله عنه بأبى محمد ، كناه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفى أسد الغابة : أن الكنية هى أن تصدر بأب أو أم ، وهى من سنن

الولادة ، فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام : « إنا لنكنى أولادنا فى صغرهم مخافة النبز أن يلحق بهم ».

إنه سيد شباب أهل الجنة ، وأحد الاثنين الذين انحصرت ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما ، وأحد الأربعة الذين باهل بهم النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران ، وأحد الخمسة « أصحاب الكساء » وهو أحد المطهرين من الرجس فى الكتاب ، وأحد الذين جعل الله مودتهم أجراً للرسالة ، وجعلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد الثقلين الذين لا يضل من تمسك بهما ، وهو ريحانة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحبيبه الذى يحبه ويدعو الله أن يحب من أحبه .

وكانت ملامحه تحاكى جده الرسول ، ووصفه واصفوه فقالوا : « لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم من الحسن بن علىّ عليه السلام خَلقاً وخُلقاً وهيأة وهدياً وسؤدداً » .

وعن الغزالى فى الإحياء أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للحسن رضى الله عنه : أشبهت خَلقى وخُلقى . وعن أنس بن مالك قال : « لم يكن أحد أشبه بالنبى من الحسن بن علىّ » . وعن علىّ رضى الله عنه أنه قال : « الحسن أشبه برسول الله ما بين الصدر إلى الرأس ، والحسين أشبه بالنبى صلى الله عليه وسلم ما كان أسفل من ذلك » . وفى الإصابة عن البهى قال : « تذاكرنا من أشبه النبى صلى الله عليه وسلم من أهله ، فدخل علينا عبد الله بن الزبير فقال : أنا أحدثكم بأشبه أهله به وأحبهم إليه الحسن بن على » .

ولكن يناقى ذلك ما حكى عن الزهراء رضى الله عنها أنها كانت ترقص الحسن عليه السلام وتقول :

اشبـــه أباك يا حسن واخلـع عن الحق الرسن
واعبـــد إلهاً ذا منن ولا توالِ ذا الإحَسن

وقالت للحسين :

أنت شـــبيه بأبي لست شـــبيهاً بعلي

وروى البخارى عن عقبة بن الحارث قال : « صلى بنا أبو بكر العصر ، ثم خرج فرأى الحسن بن علىّ يلعب فأخذه فحمله على عنقه وهو يقول : بأبى شبيه بالنبى وليس شبيهاً بعلى » وعلىّ يضحك .

وكان الحسن أبيض اللون مشرباً بحمرة أدعج العينين « والأدعج شدة فى سواد العين مع سعتها » ذا وفرة « الوفرة : الشعر السائل على الأذنين » عظيم الكراديس[1] سهل الخدين دقيق المسربة ، كث اللحية ، بعيد ما بين المنكبين جعد الشعر ، حسن البدن ، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير مليحاً من أحسن الناس وجهاً يخضب بالسواد ، وقال ابن سعد : « كان الحسن والحسين يخضبان بالسواد » . أو كما قال الشاعر :

ما دب فى فطن الأوهام من حسنٍ إلا وكان له الحـظ الخصوصىُّ
كأن جبهتـــه من تحت طـــرته بدر يتوجه الليل البهيمىُّ

(١) الكراديس : جمع مفرده الكردوسة وهى كل عظمين التقيا فى مفصل أو العظم الذى يجتمع عليه اللحم ، والمراد ضخم الأعضاء .

قد جلّ عن طيب أهل الأرض عنبره ومسكه فهو الطيب السماوىُّ

نشأ الإمام الحسن رضى الله عنه فى بيت الوحى وتربى فى مدرسة التوحيد وشاهد جده الرسول صلى الله عليه وسلم الذى هو أكمل إنسان ضمه هذا الوجود جمع الناس على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة ، فتأثر السبط بذلك وانطلق يسلك خطى جده فى نصح الناس وإرشادهم ، فقد اجتاز مع أخيه سيد الشهداء رضى الله عنه وهما فى دور الطفولة على شيخ لا يحسن الوضوء ، فلم يدعهما السمو فى النفس وحب الخير للناس أن يتركا الشيخ على حاله لا يحسن وضوءه فأحدثا نزاعاً صورياً أمامه ، وجعل كل منهما يقول للآخر : أنت لا تحسن الوضوء ، والتفتا إلى الشيخ بأسلوب هادئ وجعلاه حكماً بينهما قائلين له : « يا شيخ كل واحد منا يتوضأ أمامك وانظر أى الوضوئين أحسن ؟ » فتوضآ أمامه وجعل الشيخ يمعن فى ذلك فتنبه إلى قصوره والتفت إلى تقصيره من دون أن يأنف وقال لهما : « كلاكما يا سيدىّ تحسنان الوضوء ، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذى لا يحسن ، وقد تعلم الآن منكما وثاب على يديكما » .

وتدل هذه الواقعة على اتجاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الهداية بالطرق السليمة والأخلاق الرفيعة ، وقد انطبعت فى ذهن الإمام الحسن عليه السلام وهو فى دور الصبا حتى صارت من خصائصه ومن طبائعه ، وبذلك يكون الإمام قد تأثر بالبيئة الصالحة التى تكونت من أسرته ومن خيار المسلمين وصلحائهم .

وكان الإمام الحسن أعبد الناس فى زمانه وأزهدهم وأفضلهم ، وكان إذا حج حج ماشياً وربما مشى حافياً ، وعن ابن عباس أنه قال : ما ندمت على شيء فاتنى فى شبابى إلا أنى لم أحج ماشياً – ولقد حج الحسن بن على عليهما السلام خمساً وعشرين حجة ماشياً ، وكان إذا توضأ أو صلى ارتعدت فرائصه واصفر لونه . ولا يمر فى شيء من أحواله إلا ذكر الله سبحانه وتعالى ، وكان حليماً ورعاً فاضلا دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الدنيا والملك رغبة فيما عند الله ، وقال : « والله ما أحببت منذ علمت ما ينفعنى ويضرنى أن ألى أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أن يراق فى ذلك محجمة دم » أو ليس تنازل الإمام الحسن عن الخلافة هو الزهد بعينه ، قالوا : « وكان أعبد الناس فى زمانه وأزهدهم فى الدنيا » .

وقد كان الإمام الحسن يخاف الله ، وقد روى أن رجلاً سمعه يناجى ربه ويبكى .

فقال له : أتخاف عذاب الله وعندك أسباب النجاة ؟ أين رسول الله وشفاعته صلى الله عليه وسلم ، ورحمة الله التى وسعت كل شيء ؟

فقال الإمام الحسن : أما إنى ابن رسول الله ، فالله يقول : (فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم) .

وأما الشفاعة فهو سبحانه يقول : (من ذَا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) .

وأما الرحمة التى وسعت كل شيء . فالله يقول (فسأكتبها للذين يتقون) .

فكيف الأمان يا أخا العرب ؟

وكان الإمام الحسن عذب الروح ، حلو الحديث ، كريم المعاشرة ، حسن الألفة ، محبباً إلى الناس ، يحبه أترابه من شباب قريش والأنصار ، لهذه الخصال ويحبه الشيوخ من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الخصال نفسها ولمكانه من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويحبه عامة الناس لكل هذا ، ولسخائه وجوده ، ولعل هذه الصفة من الصفات البارزة التي يشترك فيها مع الإمام الحسين رضى الله عنه ، فقد كان الإمام الحسن يعطى الناس حين يسأل وحين لا يسأل ، وكان يصبح فيصلى الصبح ويجلس فى مكانه حتى إذا ارتفعت الشمس طاف بأمهات المؤمنين زائراً لهن متحدثاً إليهن ، يَبَرُّهن ويبررنه ويهدى إليهن ويُهدين إليه ، ثم يفرغ لبعض شأنه ، فإذا صليت الظهر جلس للناس فى المسجد فأطال الجلوس يسمع منهم ويقول لهم ، يعلم من احتاج منهم للعلم ، ويؤدب من احتاج منهم إلى الأدب ويسمع من شيوخ الصحابة من يفيده علماً وأدباً .

وكان فى أثناء هذا كله إذا ذكر السلطان أو ذكر السلطان عنده يعرف الخير وينكر الشر فى أرقّ لفظ وأعذبه ، ولكنه كان يشتد حتى يبلغ القسوة إذا ذكر أبوه بغير ما يحب ، أولقى من يعنى أباه الغوائل ، أوسعى إليه بمكروه ، وكان بعد هذا كله يحسن كما أحسن الله إليه ولا ينسى نصيبه من الدنيا[1] .

وكان الإمام الحسن أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً ، وكان إذ بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول : « إلهى ضيفك ببابك يا محسن قد

---

(١) الفتنة الكبرى ، للأستاذ العميد الدكتور طه حسين .

أتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندى بجميل ما عندك يا كريم » .

وروت زينب بنت أبى رافع قالت : « أتت فاطمة بابنيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شكواه التى توفى بها ، فقالت يا رسول الله هذان ابناك فورثهما شيئاً .

فقال : أما الحسن ، فإن له هيبتى وسؤددى ، وأما الحسين فإن له جرأتى وجودى » .

وقال الطبرسى فى أعلام الورى : ويصدق هذا الخبر ما رواه محمد ابن إسحق قال : ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغ الحسن بن علىّ ، كان يبسط له على باب داره ، فإذا خرج وجلس انقطع الطريق فما يمر أحد من خلق الله إجلالاً له ، فإذا علم قام ودخل بيته فيمر الناس . قال الراوى : ولقد رأيته فى طريق مكة نزل عن راحلته فمشى فما من خلق الله أحد إلا نزل ومشى حتى رأيت سعد بن أبى وقاص قد نزل ومشى إلى جنبه .

أما عن شرف النسب فكنى الحسن والحسين أن جدهما محمد المصطفى سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم وآباهما على المرتضى ، وأمهما فاطمة البضعة الزهراء سيدة النساء وجدتهما خديجة بنت خويلد ، وعمهما جعفر وعم أبيهما حمزة أسد الله وأسد الرسول وسيد الشهداء وجدهما أبو طالب ناصر الرسول صلى الله عليه وسلم والمدافع عنه والمتحمل الأذى فى سبيله وجد أبيهما عبد المطلب شيبة الحمد وسيد البطحاء ، وجد جدهما هاشم مطعم الحجيج

وهاشم الثريد وسيد قريش :

شرف تُووِرث كابراً عن كابر كالرمح أنبوباً على أنبوب

خير الفروع فروعهم وأصولهم خير الأصول

الرسول والحسن والحسين

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطب الحسن والحسين فيقول : اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ويقول : أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتهم ويبتهل قائلا اللهم أحب من أحبهم وابغض من أبغضهم ، ووال من والاهم وعاد من عاداهم ، وأعن من أعانهم ، واجعلهم مطهرين من كل دنس معصومين من كل ذنب ، ويحق للرسول صلى الله عليه وسلم أن يتأثر بما يعرفه عن الطوايا والنوايا نحو آله فيبكيهم أحياء ، لأنه بصفاء نفسه قد انكشف له الغطاء عن أمور صدقها الوحى ، فأجاز لنفسه أن يبكى وقد أقبل عليه الحسن وأن يقول : إلىّ إلىّ يا بنى — ثم يدنيه ويجلسه على فخذه ويعدد ما ينزل بآله من البلاء والتقتيل والتشريد والتنكيل ، فيذكرهم واحداً واحداً ويقول :

أما الحسن فإنه ابنى وولدى ومنى ، وقرة عينى وضياء قلبى وثمرة فؤادى ، وهو سيد شباب أهل الجنة وحجة الله على الأمة ، أمره أمرى وقوله قولى ، فمن تبعه فإنه منى ومن عصاه فليس منى ، وإنى لما نظرت إليه تذكرت ما يجرى عليه من الذل بعدى — وعند ذلك تبكى الملائكة والسبع الشداد لموته ويبكيه كل شىء وحتى الطير فى كبد السماء والحيتان فى جوف الماء ، فمن بكاه

لم تعم عينه يوم تعمى العيون ، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب ، ثم يرفعه على عاتقه ويبعثها صرخة تتردد على الزمن : إن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة والحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا وهما سيدا شباب أهل الجنة .

وقد شرف الإمام الحسن جده المصطفى صلى الله عليه وسلم ، كما شرف أخاه الإمام أبا عبد الله الحسين السبط بأن نسبهما إليه بالبنوة ، وإن كانا من صلب على كرم الله وجهه .

روى الترمذى من حديث أسامة بن زيد قال : « طرقت النبى صلى الله عليه وسلم فى بعض الحاجة فقال : هذان ابناى وابنا ابنتى ، اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

لذلك يقال لكل من السبطين الحسن والحسين : « يا ابن المصطفى » .

وكانا رضوان الله عليهما يعتزان بأبوته صلى الله عليه وسلم ويهتفان به ، فيقول كل منهما له صلى الله عليه وسلم « يا أبت » فإذا هتف الحسن بأبيه علىّ قال له « يا أبا الحسين » وإذا هتف الحسين بأبيه قال له « يا أبا الحسن » فلما انتقل جدهما صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى كانا يقولان لأبيهما « يا أبت » .

ومن ذلك نرى أن النبوة التى شرفه بها مولانا الرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله الكريم : « إن ابنى هذا سيد » وقوله : « إنما هما ابناى وابنا ابنتى ، اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » أيدها القرآن الكريم ، فى آية المباهلة حيث يقول الله سبحانه وتعالى : (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ

فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُم وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثم نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الكَاذِبِينَ » .

فقد جاء صلى الله عليه وسلم بالحسن والحسين وفاطمة تمشى خلفه وعلىّ خلفهما وهو يقول لهم : « إن أنا دعوت فأمنوا » .

وقد أبى أهل نجران المباهلة خشية أن يصيبهم عذاب الله ورضوا بدفع الجزية .

وروى الطبرانى عن جعفر بن محمد عن أبيه أن النبى صلى الله عليه وسلم بايع الحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر وهم صغار لم يبلغوا ، قال : « ولم يبايع صغيراً إلا منا » .

ووقف رسول الله يصلى بالمسلمين فجاء الحسن وهو ساجد فجلس على ظهره ، فرفعه النبى رفعاً رقيقاً ، فلما فرغ من الصلاة وضعه فى حجره فكان يدخل أصابعه فى لحيته والرسول عليه الصلاة والسلام يضمه ويقبّله فى حنان ويقول : اللهم إنى أحبه ، ورأى المسلمون ذلك الحب الدافق فقالوا :

– يا رسول الله إنا رأيناك تصنع لهذا الصبى شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد ؟

– هذا ريحانتى ، وإن ابنى هذا سيد ، وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين .

ونهض النبى وحمل الحسن وسار ، فقابله رجل ، فقال :

– نعم المركب ركبت يا غلام .

– فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : ونعم الراكب هو .

ووقف الرسول صلى الله عليه وسلم فى مسجده يخطب ، وبينما عليه أفضل الصلاة والسلام يعظ المسلمين جاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان ، فلم يملك رسول الله نفسه ، بل نزل إليهما وأخذهما وعاد إلى المنبر وهو يضمهما إليه ، ثم وضعهما فى حجره .

وقال : صدق الله العظيم : (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) .

ولقد شعر أصحاب الرسول بأن ذكر الحسن والحسين يدخل على نفسه الغبطة فسأله بعض الجلساء يوماً : أى أهلك أحب إليك ؟ فأجابه : الحسن والحسين – من أحبنى وأحبهما وأباهما وأمهما كان معى فى الجنة – وقال مرة لواحد من أصحابه : ادع ابنى فأتى له بالحسن وهو يشتد حتى وقع فى حجره فأحتضنه شغفاً .

١ – الحسن والحسين سبطا هذه الأمة

لكل شىء أساس وأس الإيمان الورع ، ولكل شىء فرع وفرع الإيمان الصبر ، ولكل شىء سنام وسنام هذه الأمة عمى العباس ، ولكل أمة سبط وسبط هذه الأمة الحسن والحسين ، ولكل شىء جناح وجناح هذه الأمة على بن أبى طالب [كنز العمال ج ٢ ص ٨٨]

وعن على بن الهلالى عن أبيه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحالة التى قبض فيها فإذا فاطمة سلام الله عليها عند رأسه فبكت

حتى ارتفع صوتها ، فرفع صلى الله عليه وسلم طرفه إليها فقال : حبيبتى فاطمة ما الذى يبكيك ؟ فقالت : أخشى الضيعة من بعدك . فقال : يا حبيبتى أما علمت أن الله اطلع على أهل الأرض إطلاعة فاختار منها أباك فبعثه برسالته ، ثم اطلع إطلاعة فاختار منها بعلك وأوحى إلى أن أنكحك إياه ؟ يا فاطمة ونحن أهل بيت فقد أعطانا الله سبع خصال لم تعط أحداً قبلنا ولا تعط أحداً بعدنا ، وأنا خاتم النبيين وأكرمهم على الله عز وجل وأحب المخلوقين إلى الله عز وجل ، وأنا أبوك ووصيي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله عز وجل وهو بعلك ، وشهيدنا خير الشهداء وأحبهم إلى الله عز وجل وهو حمزة ابن عبد المطلب عم أبيك وعم بعلك ، ومنا من له جناحان أخضران يطير بهما إلى الجنة حيث يشاء مع الملائكة وهو ابن عم أبيك وأخو بعلك ، ومنا سبطا هذه الأمة وهما ابناك الحسن والحسين وهما سيدا شباب أهل الجنة . وأبوهما – والذى بعثنى بالحق – خير منهما – يا فاطمة والذى بعثنى بالحق إن منهما مهدى هذه الأمة إذا صارت الدنيا هرجاً ومرجاً ، وتظاهرت الفتن وتقطعت السبل وأغار بعضهم على بعض ، فلا كبير يرحم صغيراً ، ولا صغير يوقر كبيراً ، فيبعث الله عز وجل عند ذلك من يفتح حصون الضلالة وقلوباً غلفاً يقوم بالدين فى آخر الزمان كما قمت به فى أول الزمان ، ويملأ الأرض عدلا كما ملئت جوراً .

٢ – إن الحسنين عليهما السلام خير الناس جدًّا وجدة وأباً وأمًّا

عن ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيها الناس ، ألا أخبركم بخير الناس جدًّا وجدة ؟ ألا أخبركم بخير الناس عمًّا وعمة ؟ – ألا أخبركم بخير الناس خالاً وخالة ؟ ألا أخبركم بخير الناس أباً وأمًّا ؟ – الحسن والحسين ، جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدتهما خديجة بنت خويلد ، وأمهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبوهما على بن أبى طالب عليه السلام ، وعمهما جعفر بن أبى طالب ، وعمتهما أم هانئ بنت أبى طالب ، وخالهما القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخالاتهما زينب ورقية وأم كلثوم بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجدهما فى الجنة وخالاتهما فى الجنة وهما فى الجنة ومن أحبهما فى الجنة .

(وفى ذخائر العقبى) وعن ابن عباس قال : بينما نحن ذات يوم مع النبى صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت فاطمة سلام الله عليها تبكى فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : فداك أبوك ما يبكيك ؟ قالت : إن الحسن والحسين خرجا ولا أدرى أين باتا ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبكى فإن خالقهما ألطف بهما منى ومنك ثم رفع يديه فقال : اللهم احفظهما وسلمهما فهبط جبريل وقال : يا محمد لا تحزن فإنهما فى حظيرة بنى النجار نائمين وقد وكل الله بهما ملكاً يحفظهما ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم ومعه أصحابه حتى أتى الحظيرة فإذا الحسن والحسين

عليهما السلام معتنقين نائمين وإذا الملك الموكل بهما قد جعل أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما يظلهما ، فأكب النبي صلى الله عليه وسلم عليهما يقبلهما حتى انتبها من نومهما ، ثم جعل الحسن على عاتقه الأيمن والحسين على عاتقه الأيسر ، فتلقاه أبو بكر وقال : يا رسول الله ناولني أحد الصبيين أحمله عنك ، فقال صلى الله عليه وسلم : نعم المطى مطيهما ونعم الراكبان هما وأبوهما خير منهما حتى أتى المسجد ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على قدميه وهما على عاتقيه ثم قال :

يا معشر المسلمين ألا أدلكم على خير الناس جدًّا وجدة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله – قال : الحسن والحسين جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم – خاتم المرسلين وجدتهما خديجة بنت خويلد سيدة نساء أهل الجنة ، ألا أدلكم على خير الناس عمًّا وعمة ؟ قالوا بلى يا رسول الله – قال : الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبي طالب وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب – أيها الناس ألا أدلكم على خير الناس خالا وخالة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله – قال : الحسن والحسين خالهما القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالتهما زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم – ثم قال : اللهم إنك تعلم أن الحسن والحسين فى الجنة وعمهما فى الجنة وعمتهما فى الجنة ومن أحبهما فى الجنة ومن أبغضهما فى النار .

٣ – الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة

- عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة – (وصحيح الترمذي أيضاً ، ص ٣٠٧) روى بسنده عن زر بن حبيش عن حذيفة قال : سألتني أمي متى عهدك ؟ تعني بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فقلت : ما لي به عهد منذ كذا وكذا ، فنالت مني فقلت لها : دعيني آتي النبي صلى الله عليه وسلم فأصلي معه المغرب وأسأله أن يستغفر لي ولك ، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فصليت معه المغرب فصلى حتى صلى العشاء ثم انفتل فتبعته فسمع صوتي فقال : من هذا حذيفة ؟ قلت نعم – قال : ما حاجتك غفر الله لك ولأمك ؟ – قال : إن هذا ملك لم ينزل الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه أن يسلم عليّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

(وفي حلية الأولياء لأبي نعيم) روى بسنده عن إبراهيم بن يزيد التيمي عن أبيه قال : وجد علي بن أبي طالب عليه السلام درعاً له عند يهودي التقطها فعرفها فقال : درعي سقطت عن جمل لي أورق ، فقال اليهودي : درعي وفي يدي ، ثم قال له اليهودي بيني وبينك قاضي المسلمين ، فأتوا شريحاً (إلى أن قال) فقال شريح : صدقت والله يا أمير المؤمنين ، إنها لدرعك ولكن لا بد من شاهدين فدعا قنبراً مولاه والحسن بن علي عليهما

السلام وشهدا أنها درعه ، فقال شريح : أما شهادة مولاك فقد أجزناها ، وأما شهادة ابنك لك فلا نجيزها ، فقال على عليه السلام : ثكلتك أمك أما سمعت عمر بن الخطاب يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

وفى تاريخ بغداد أيضاً : روى بسنده عن زر بن حبيش عن حذيفة قال : رأينا فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم تباشير السرور فقلنا : يا رسول الله لقد رأينا اليوم فى وجهك تباشير السرور ، فقال ومالى لا أسر وقد أتانى جبريل فبشرنى أن حسناً وحسيناً سيدا شباب أهل الجنة وأباهما أفضل منهما .

٤ – إن الله زين الجنة بالحسن والحسين

عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لما استقر أهل الجنة فى الجنة قالت الجنة : يارب أليس وعدتنى أن تزيننى بركنين من أركانك ؟ قال : ألم أزينك بالحسن والحسين ؟ قال : فماست[1] الجنة ميساً كما تميس العروس .

وعن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فخرت الجنة على النار فقالت : أنا خير منك – فقالت النار : بل أنا خير منك ، فقالت لها الجنة – استفهاماً – وبمه ؟ – قالت : لأن فىّ الجبابرة

(١) ماست أى تبخترت .

ونمروذ وفرعون فأسكتت ، فأوحى الله إليها لا تخضعن لأزين ركنيك بالحسن والحسين – فاست كما تميس العروس فى خدرها .

فيما حدثه الحسن عن النبى صلى الله عليه وسلم

قال الحسن : علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات أقولهن فى الوتر : اللهم اهدنى فيمن هديت وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت فإنك تقضى ولا يقضى عليك وإنه لا يذل من واليت – تباركت ربنا وتعاليت .

(وفى حلية الأولياء لأبى نعيم) روى بسنده عن أبى الجوزاء قال : قلت للحسن بن على عليهما السلام : مثل من كنت فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وما عقلت عنه ؟ قال : عقلت عنه أنى سمعته يقول : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الشر ريبة والخير طمأنينة ، وعقلت عنه الصلوات الخمس – وكلمات أقولهن عند انفصالهن ، اللهم اهدنى فيمن هديت ، وعافنى فيمن عافيت ، وتولنى فيمن توليت ، وبارك لى فيما أعطيت ، وقنى شر ما قضيت ، إنك تقضى ولا يقضى عليك ، إنه لا يذل من واليت تباركت وتعاليت .

(وفى أسد الغابة لابن الأثير) روى بسنده عن عمير بن مأمون قال : سمعت الحسن بن على عليهما السلام يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صلى صلاة الغداة فجلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس كان له حجاب من النار ، أو قال : ستر من النار .

فى معانقة النبي صلى الله عليه وسلم مع الحسن وتقبيله له

عن أبى هريرة قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى طائفة النهار لا يكلمنى ولا أكلمه حتى أتى سوق بنى قينقاع فجلس بفناء بيت فاطمة سلام الله عليها فقال : أثم لكع أثم لكع[١] فحبسته شيئاً فظننت أنها تلبسه سخاباً[٢] أو تغسله – فجاء يشتد حتى عانقه وقبله وقال : اللهم أحبه وأحب من يحبه .

(صحيح البخارى فى كتاب بدء الخلق) فى باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام . روى بسنده عن البراء قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم والحسن بن على عليهما السلام على عاتقه يقول اللهم إنى أحبه فأحبه .

وعن أبى هريرة قال : قبّل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن على عليهما السلام وعنده الأقرع بن حابس التميمى جالساً فقال الأقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : (من لا يرحم لا يُرحم) .

وعن الزبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حسناً وضمه إليه وجعل يشمه وعنده رجل من الأنصار ، فقال الأنصارى : إن لى ابناً قد بلغ ما قبلته قط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرأيت إن كان الله نزع الرحمة من قلبك فما ذنبى .

---

(١) قال ابن الأثير الجزرى فى نهاية غريب الحديث بمادة (لكع) : (وقد يطلق على الصغير ومنه الحديث : إنه عليه السلام جاء يطلب الحسن بن على قال : أثم لكع) فهو بضم اللام وفتح الكاف ثم العين المهملة .

(٢) السخاب هوخيط ينظم فيه خرز ويلبسه الصبيان والجوارى .

وقال ابن إسحاق – حدثنى مساور مولى بنى سعد بن بكر قال : رأيت أبا هريرة قائماً على المسجد يوم مات الحسن عليه السلام يبكى وينادى بأعلى صوته : يا أيها الناس مات اليوم حِبُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأخذ حسناً فيضمه إليه ثم يقول : اللهم إن هذا ابنى وأنا أحبه وأحب من يحبه .

(مسند الإمام أحمد بن حنبل) روى بسنده عن المبارك عن الحسن عن أبى بكرة – قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بالناس وكان الحسن بن على عليهما السلام يثب على ظهره إذا سجد ففعل ذلك غير مرة فقالوا له : والله إنك لتفعل بهذا شيئاً ما رأيناك تفعله بأحد ، قال المبارك : فذكر شيئاً ثم قال : (إن ابنى هذا سيد وسيصلح الله تبارك وتعالى به بين فئتين من المسلمين) . وقال أيضاً (إنه ريحانتى من الدنيا وإن ابنى هذا سيد وعسى الله تبارك وتعالى أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) .

والمراد من الفئتين العظيمتين من المسلمين فى هذا الحديث وقد أصلح الله تبارك وتعالى بينهما بالحسن بن على عليهما السلام أهل الكوفة أصحاب الحسن وأصحاب أبيه عليهما السلام ، وأهل الشام أصحاب معاوية بن أبى سفيان ، الفئة الباغية بنص النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتواتر المشهور ، (ويح عمار تقتله الفئة الباغية ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) .

وعن خالد بن معدان قال : وفد المقدام بن معدى كرب وعمرو بن الأسود إلى معاوية فقال معاوية للمقدام : أعلمت أن الحسن بن على عليهما

السلام توفى ؟ وقال أتراها مصيبة ، فقال ولم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجره وقال : هذا منى وحسين من على .

وعن أنس قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم راقداً إذ جاء الحسن عليه السلام يدرج حتى قعد على صدره ثم بال عليه ، فجئت أمطيه عنه قال : ويحك يا أنس دع ابنى وثمرة فؤادى فإن من آذى هذا فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسابق بينهما مرة فسبق الحسن أخـــاه وعاد مسرعاً حتى ارتمى فى حجره فأخذه وقبله قبلةً فيها حنان وتقدير يخالطهما حذر ومرارة — ثم أجلسه على ركبته اليمنى وفعل ذلك مع أخيه الحسين وأجلسه على اليسرى وسئل حينئذ : يا رسول الله أيهما أحب إليك ؟ فأجاب : أقول كما قال أبونا إبراهيم — وقد قيل له : أى ابنيك أحب إليك فقال : أكبرهما ابنى محمداً . ويقول أبو هريرة وقد التقى بالحسن بعد وفاة جده : أرنى أقبل منك حيث رأيت رسول الله يقبل ثم قبل سرته فقد كان النبى يفعل ذلك على دعوى أبى هريرة ، وكان ينيم الحسن على عضده ويرقصه ويداعبه ويناغيه مما دفع أبا هريرة إلى القول : سمعت أذناى هاتان وأبصرت عيناى هاتان رسول الله والحسن آخذ بكفيه جميعاً وقدما على قدم رسول الله وهو يقول له :

حزقـــة حزقـــه ترق عين بقـــه

فيرقى الغلام حتى يضع قدميه على صدر جده فيقبله .

ما روى عن الحسن والحسين :

١ – عن الرسول صلى الله عليه وسلم : أن الله تعالى جعل ذرية كل نبى فى صلبه خاصة ، وجعل ذريتى من صلب على بن أبى طالب ، فكانت ذريته صلى الله عليه وسلم منحصرة فى الحسن والحسين وأبنائهما .

٢ – وروى عن أبى سعيد الخدرى فى حديث ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

٣ – وفى شدة حب الرسول لهما يروى أنس بن مالك : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أى أهل بيتك أحب إليك ؟ قال : « الحسن والحسين » وكان يقول لفاطمة : ادعى لى ابنى فيشمهما ويضمهما إليه ، كذلك يروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال فى الحسن والحسين : « اللهم إنى أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » .

وعن زيد بن أرقم : « كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فى مسجده ، فمرت الزهراء خارجة من بيتها إلى حجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعها الحسن والحسين عليهما السلام ، ثم تبعهما على . فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ، فقال : « من أحب هؤلاء فقد أحبنى ، ومن أبغض هؤلاء فقد أبغضنى » .

وأخيراً بلغ من مزيد حبه وإشفاقه على سبطيه أنه كان يعوذهما خوفاً عليهما من الحسد ، فقد روى أبو نعيم بسنده عن عبد الله ، قال : كنا جلوساً

مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ مر الحسن والحسين وهما صبيان ، فقال : « هات ابنيّ أعوذهما بما عوذ به إبراهيم ابنيه إسماعيل وإسحاق فقال : أعيـذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ، ومن كل شيطان وهامة » وليس فى سجل المودة الإنسانية أجمل من هذا الحنان .

ما روى عن الإمام الحسن :

١ – وروت عائشة رضى الله عنها أنها قالت : إن النبى صلى الله عليه وسلم كان يأخذ حسناً فيضمه إليه ، ثم يقول : « اللهم إن هذا ابنى ، وأنا أحبه ، فأحبه وأحب من يحبه » .

٢ – وروى عبد الله بن عبد الرحمن بن الزبير قال : « أشبه أهل النبى صلى الله عليه وسلم وأحبهم إليه الحسن ، رأيته يجىء وهو ساجد فيركب رقبته أو قال : ظهره فما ينزله حتى يكون هو الذى ينزل ، ولقد رأيته وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر » .

٣ – وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى إحدى صلاتى العشاء ، فسجد سجدة أطال فيها السجود ، فلما سلم قال له الناس فى ذلك . فقال : « إن ابنى هذا – يعنى الحسن – ارتحلنى فكرهت أن أعجله » .

٤ – وقال صلى الله عليه وسلم : « من سره أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « الحسن ريحانتى من الدنيا » .

٥ – وروى أنس بن مالك ، قال دخل الحسن على النبي صلى الله عليه وسلم فأردت أن أميطه عنه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ويحك يا أنس دع ابني وثمرة فؤادي فإن من آذى هذا فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله » .

خصائصه ومناقبه :

تحدث الرواة عن نبوغ الإمال الحسن الباكر ، فقد ملك بمقتضى ميراثه من الذكاء وسمو الإدراك مالا يملكه غيره ، فكان لا يمر عليه شيء إلا حفظه ، وكان يحضر مجلس جده صلى الله عليه وسلم فيحفظ الوحي فينطلق إلى أمه فيلقيه عليها فتحدث به الإمام عليًّا فيتعجب ويقول : « من أين لك هذا ؟ » فتقول : « من ولدك الحسن » .